ملحمة المعلم

قـــم للمعلـــم وفـــه التقـــديرا ... كـــاد المعلـــم أن يكـــون أميـــرا
حكـــم الإمـــارة بالعدالـــة آمـــرا ... ســـمرا وســـمرا ســـامرا وســـميرا
أمـــر التلامـــذة الصـــغار وإنهـــم ... جـــن تنـــافس فـــي الغبـــاء حميـــرا
وتـــراه كالجبـــار صـــمر خـــده ... متجهمـــا ومكشـــرا ونـــذيرا
الله يســـتر إن تبســـم بســـمة ... ســـتهيج الصيصـــان فيـــه نمـــورا
مـــازال يرســـل فـــي الجهـــات عيونـــه ... تتجســـس المخفـــي والمســـتورا
لـــم يســـتدر للـــوح إلا خلســـة ... حـــذر المشـــاغب أن يحيـــك أمـــورا
يلقـــي بعـــين للـــوراء كـــأحول ... لتجـــوس أخـــرى فـــي البنـــوك ســـعيرا
ويقـــول والحـــول المبـــين مكـــذب ... (مـــا أنفـــك ظهـــري بالخفـــاء بصـــيرا)
ويتـــابع الشـــرح الطويـــل مشـــرحا ... فيـــه الفـــؤاد ويكثـــر التصـــويرا
بوســـائل الإيضـــاح يبـــذل جهـــده ... فيجـــرب التربيـــع والتـــدويرا
ويعيـــد شـــرح الشـــرح ألفـــي مـــرة ... فيعـــرف التعريـــف والتنكيـــرا
وإن اقتضـــى الإفهـــام هـــرج مضـــحكا ... وفـــؤاده يهمـــي الـــدموع غـــديرا
حتـــى إذا بـــح الصـــدى وتقطعـــت ... أنفاســـه فغـــدا يهـــر هريـــرا
طـــرح الســـؤال علـــى أحبـــة قلبـــه ... لكـــن نبـــدوا عنـــد طـــرح الســـؤال قبـــورا
وبعيـــد صـــمت البحـــر يبصـــر اصـــبعا ... تعلـــو فيرجـــع كـــالربيع بشـــيرا
ويصـــيح : قـــل أســـرع أجـــب يـــا مهجتـــي ... أخـــز الكســـالى أخرهـــا التفـــورا
فيجيـــب هـــذا باكيـــا : اســـتاذ.. هـــم ... ســـرقت منـــي مـــن (جنطتـــي)) بنـــدورا
لكـــن تفكـــك ظهـــره فـــي غضـــبه ... عصـــبية تـــزر الفـــؤاد نثيـــرا
وإذا تملـــك منـــه غـــيظ فجـــأة ... ورد الطريـــق زئيـــره والـــدورا
ضـــاع الســـؤال كتبـــه فـــي لبنـــه ... مـــا هـــز عقـــلا أو أثـــار شـــعورا
والســـائل المســـكين ينقـــل لحظـــة ... بـــين المقاعـــد حانقـــا محـــرورا
هـــذا المعلـــم قـــد روه فإنـــه ... ألظـــى فـــؤاده فـــي الحوالـــك فـــوزا
نقـــر العنـــاء عظامـــه ولقـــاء ذا ... مـــا حـــاز بالمنقـــار منـــه نقيـــرا
يتحمـــل الكســـلان دون تـــذمر ... ولقـــد رأى فيـــه وليـــه نيـــرا
لـــو حمـــل الشـــيطان بعـــض عنائـــه ... لأتـــى بقلبـــه للـــرحم كســـيرا
أو بللـــت أيـــوب ســـحب بلائـــه ... نبـــذ التصـــبر ثـــم راح كغـــورا
وســـع العـــوالم علمـــه وســـخاؤه ... وقضـــت عليـــه أن يعـــيش حســـيرا
يقضـــي ســـحابة يومـــه محشـــورا ... فـــي صـــفه يتـــنفس الطبشـــورا

فـــإذا تحـــرم بعـــد ذاك نهـــاره كـــان المنـــام علـــى النعـــام شـــخيرا
أيـــن المنـــام وقـــد تـــورم رأســـه ســـلب الشـــعور وجـــرد التفكيـــرا
أيـــن المنـــام وهـــا يطبـــل رأســـه كيمـــا يـــؤدي الصـــائمون ســـحورا
أيـــن المنـــام وهالهـــا وبحـــره لبياشـــر التصـــحيح والتحضـــيرا
مـــاذا تصـــحح يـــا فتـــى أطلاســـما ؟ إن المـــــنجم يجهـــــل التفســـــيرا
مـــاذا تصـــحح يـــا فتـــى ؟ ذا الظلـــم المســـتور أم ذا الظلـــم المســـطور
لـــو حـــاول الشـــيطان فـــك رمـــوزه لهـــوى لغـــوره عـــاجزا مســـحورا
ويقـــرح التســـهيد لحـــم جفونـــه فيكـــر فـــي حـــرب النعـــاس مغيـــرا
يهـــوي برأســـه تـــارة ويقيمـــه أخـــرى يريـــد علـــى النعـــاس نصـــيرا
أمعلمـــي لا تعجلـــن علـــى العمـــى فغـــدا تعكـــز بالعصـــاة ضـــريرا
وبعيـــد ذلـــك إن أتـــاه برحمـــة ملـــك المنـــام لكـــي ينـــام قريـــرا
صـــرخ المنبـــه فيـــه يهـــدر أن أفـــق ســـتذوق لـــذات الكـــرى مقبـــورا
ويعـــاود المســـكين ســـيرة يومـــه فيســـابق الخفـــاش والعصـــفورا
الفجـــر والليـــل البهـــيم تلاحمـــا كـــي يـــدفأ لـــم يبصـــرا المقـــرورا
يســـتيقظ المســـكين قبـــل شـــروقها والليـــل داج لا يـــزيح مســـتورا
يتســـلق الباصـــات يركـــب واقفـــا ويحـــط مـــن بـــين الزحـــام عصـــيرا
ويواصـــل المشـــي الســـريع ولا ينـــي حتـــى ولـــو أبـــدى الحـــذاء فتـــورا
تعـــب الطريـــق مـــن الطريـــق وخطـــوه خفقـــان قلـــب يجهـــل التقصـــيرا
آه مـــن (الزفـــت) الطويـــل فإنـــه وال آه لـــــن يمـــــل زفيـــــرا
قـــبض المعـــاش
فـــإذا انتهـــى الشـــهر الحـــلال قتالـــه قـــبض المعـــاش مظفـــرا منصـــورا
ومضـــى يعـــده وهـــو يعـــرف قـــدره متأهبـــا مـــن قرعـــة ليطيـــرا
لكـــن فرحتـــه تطيـــر ولـــم يطـــر ولقـــد رأوا عمـــر الســـرور قصـــيرا
ذاب المعـــاس مـــن الغـــلاء بلمحـــة صـــهرته أســـعار تمـــج ســـعيرا
مـــات المعـــاش فنكســـت أعلامـــه قـــد أعلـــن العلـــم الحـــداد عصـــورا
مـــات المعـــاش وعـــاش يملـــك بعـــده ملـــك الممـــات علـــى الحيـــاة قـــديرا
عنـــد ابتـــداء الشـــهر مـــات معاشـــه وإلـــى انتهـــاء الشـــهر مـــات شـــهورا
هـــذا قضـــاؤك يـــا معلـــم فاســـتكن لا يغلـــب الحـــي القضـــا المقـــدورا
فاصـــبر لحظـــك يـــا معلـــم إنمـــا خلـــق البعيـــر لكـــي يكـــون صـــبورا
أنـــت الـــذي اختـــرت المشـــقة مهنـــة فعليـــك أن ترضـــى بهـــا مســـرورا

مـــدحوا المعلـــم باللســـان وأطنبـــوا ... وتجشـــموا الإجـــلال والتـــوقيرا
كـــذبوا فقـــالوا قـــولهم : لـــو لـــم يكـــن ... ملـــك الـــورى فعلـــى الأقـــل وزيـــرا
فهـــو الـــذي مـــنح الخليفـــة خلقهـــا ... وعلومهـــا وفنونهـــا مشـــكورا
حتـــى غـــدا التـــاريخ يشـــكر فضـــله ... فبعضـــله قـــد أحســـن التطـــويرا
صـــنع المهنـــدس والطبيـــب كليهمـــا ... وأولـــى النهـــى والكاتـــب التحريـــرا
فـــإذا هـــو الشـــافي المـــريض وإن يكـــن ... خلـــف الســـتار ومـــن بنـــى المعمـــورا
نقعـــوا المعلـــم بالمـــديح وحلقـــه ... فـــار وبطنـــه قرقـــرت تقريـــرا
تقريـــر جـــوع لا يـــرد بمدحـــه ... ونـــذير جـــوع لا يـــذيع عبيـــرا
يـــا للـــدنى كـــم أتخمـــت متـــرهلا ... همـــلا وأعلـــت تافهـــا طرطـــورا
وتنكـــرت لأولـــي النهـــى وتجبـــرت ... حتـــى رمـــت تحـــت التـــراب هصـــورا
شـــوفي الـــذي مـــدح المعلـــم لـــم يكـــن ... قـــد جـــرب التعلـــيم والتعتيـــرا
لـــو كـــان علـــم فـــي حياتـــه ســـاعة ... لرمـــي المعلـــم بالهجـــاء مريـــرا
ولكـــان كـــرس للهجـــاء قصـــيده ... ولبـــز شـــوقي فـــي الهجـــاء جريـــرا
قـــل للـــذي مـــدح المعلـــم نـــاثرا ... غـــرر المـــدائح لؤلـــؤا منثـــورا
يـــا مـــن يبخـــر للمعلـــم مادحـــا ... إن المعلـــم لا يشـــم بخـــورا
فغبـــار ذا الطبشـــور أفســـد شـــمه ... مـــا عـــاد ذاك الأنـــف شـــم عطـــورا
مـــدحوا المعلـــم باللســـان وأطبثـــوا ... وتكلفـــوا التهليـــل والتكبيـــرا
وصـــلوا إلـــى المـــريخ فـــي تقريضـــهم ... وهـــووا بـــه بخـــلا فســـاء مصـــيرا
أجـــرى عليـــه النـــاس حلـــو لســـانهم ... وجـــروا عليـــه مـــن الحشـــا ســـاطورا
فـــاجروا أيـــا نطـــى الاســـاه جرعـــة ... صـــوب المصـــاب وجربـــوا التجبيـــرا
هـــذي الحقيقـــة يـــا كـــرام فـــلا يكـــن ... قـــول الحقيقـــة منكـــرا ونكيـــرا
تبقـــى الحقيقـــة رغـــم مـــر مـــذاقها ... عســـلا مـــن القلـــب الجـــريح مشـــورا
إن كـــان شـــعري لا يـــرق فعـــذره ... أن الحقيقـــة تـــرفض التزويـــرا
عفـــو الكـــرام لقـــد تطـــاول شـــعرنا ... ولطالمـــا كـــان الكـــريم غفـــورا